أطفال حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٦)



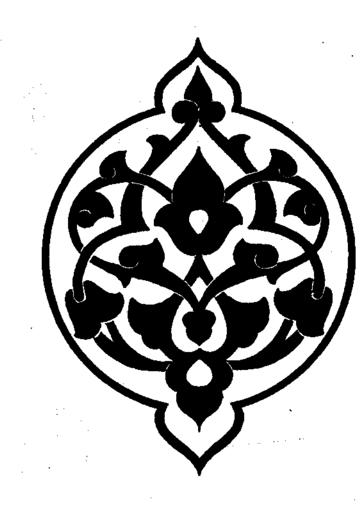
سيد شباب أهل الجنة

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة



مَنْ هُـوَ ؟



الحسين بن عليّ (رضى الله عنهما) عَلَمٌ من أعلام تاريخنا الإسلامى ، قلّما خلا التاريخ من سيرته وأخباره ، وقد تحدث عنه كثيرون ، لِمَا عُرِفَ عنه من بذل نفسه فى سبيل الحقّ والمبادئ والقِيَم ، ولِمَا تركه من الأثر العظيم على مَرّ العصور .

فهو الحُسَين بن عليّ بن أبى طالب القُرشى الهاشمى ، سبط رسول الله ﷺ ، وريحانته من الدنيا ، وسَيِّدُ شبابِ أهل الجنَّة .

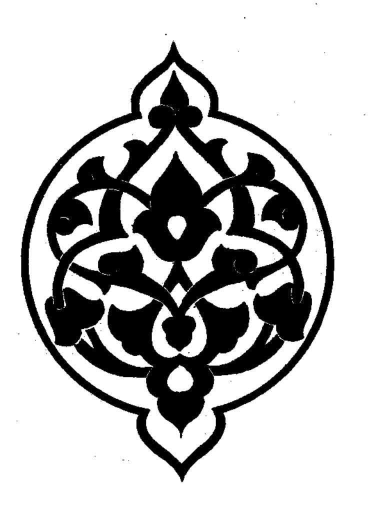


وُلِدَ (رضى الله عنه) لخمس خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة ، وذلك بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصَّلاة وأَتمّ التَّسليم ، ونالَت سيرته العَطرة منزلة عظيمة ممَّا لم تنله سيرة عظيم من العُظَماء ، فهو إلى اليوم يذكره المسلمون فى يوم تَضْحيته بحياته ، فيجعلون منه مثلًا أعلى لما قام به من تقديم نفسه للاستشهاد فى سبيل الدِّفاع عن عقيدته ودينه ومبادئه السَّامية ، وَهُمْ بين حزين متألِّم لما ناله ومَنْ معه من تعذيب وهوان ، وبين مَنْ يحاول أن يتأسَّى به ، فَيضُحِّى بحياته فى سبيل العزّة والكرامة .

تَـكْوِينُ الشَّـخْصِيَّة

لم يكن تكوين تلك الشخصية العظيمة من فراغ ، وإنما كان هنـاك عـوامل بيئية ووراثيـة تجمَّعتْ فيها تلك العوامل لتخلق شخصية الإمـام الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) سـواء أكان القريب منها أم البعيد ، كما سَطَّرهُ لنا عُلَماء الاجتماع والنفس .





نَشْـأَتُـهُ

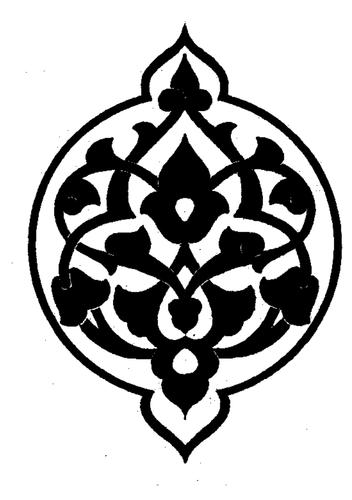
لم يعش آباء الحسين (رضى الله عنه) وأجداده فى قلب الصّحراء المترامية الأطْراف والرِّمال ، بعيدين عن الحضارة والتقدّم ، وإنما كانوا يعيشون فى مكة التى تعتبر عاصمةً لشبه الجزيرة العربية ، ، فتتجه إليها الأنظار ، وتشدّ إليها الرّحـال ، وتَشْخص الأبصار لمركزها الممتاز فى تجارة بلاد العرب كلها ، والتى يحجّ إليها العرب فيطوفُون حـول الكعبة ، ويزورون بيت الله الذى بناه إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ، ولقد أراد المولى سبحانه وتعالى أن تكون مكة مهبط الرّسالة لجدّ الحسين (عَليهِ الصَّلاة والسَّلَام) ، ومنها انتقلت الحضارة والمجد والعزّ إلى المدينة التى وُلدَ بها الإمام الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) .

★ ★ ★

شِبْلٌ مِنْ أَسَد

ولعوامل الوراثة أثرها الواضح البيِّن فى تكوين شخصية الحسين (رضى الله عنه) ، وإظهارها المُشَرِّف بالمتعارف عليه عندَ النَّاس من الشَّجاعة والإقدام ، وعُلُوّ الهمَّة والبُعْد عن الدَّنايا ، والتَّضحية بالنَّفْس والنَّفيس فى سبيل المبادئ العظيمة .

لقد كان أجداده الذين ينتسب إليهم (رضى الله عنه) عُظَمَاء ، فمنهم نبىّ الله إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) بتاريخهما المعروف بالرسالة والنُّبُوَّة ، والهمة والشجاعة ، التى يَرْويهَا التاريخ والكُتُب المقدَّسة .



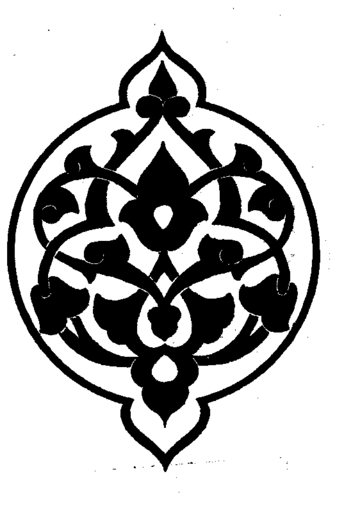


ومن الامتداد الوراثى لأصل الحسين (رضى الله عنه) الجدّ (قصى بن كلاب) ، وكان من الجِدِّ وحسن الرأى ما جعله موضع احترام أهل مكة ، وكان كثير الأموال من السّعى فى التجارة : كثير الأولاد ، ولما يمتاز به من خُلُق ودراية وَلُّوه كل المناصب المتصلة بالكعبة والبيت الحرام ، ثم أَقَرُّوا له بالمُلْك عليهم ، فولى أولاده جميع الأعمال ، فقاموا بأعمالهم خير قيام .

★ ★ ★

ومن الامتداد الوراثى الجدّ (هاشم) وقد كان كبيراً فى قومه ذا يسار فَوَلِىَ السّقاية والرفادة ، ودعا النَّاس إلى إطعام الحاجّ فى أثناء الموسم ، وكان من أعماله أن سَنَّ رحلتى الشِّتاء والصَّيف ، واتصل بالممالك المجاورة ، فلما تولى من بعده (عبد المطلب) اتصل بيثرب (المدينة) وبأخواله هناك فكانوا عَوناً له ، فساعدوه على أن يتولى ما كان (هاشم) يتولاه .

ومن أولاده أبو طالب والد الإمام علىّ والد الحسين ، وعبد الله والد سيدنا محمد  ، والد السَّيدة فاطمة الزَّهْرَاء أُمّ الحسين (رضى الله عنهما) .



★ ★ ★

ذلك هو الأصل العريق الذى انتهى إلى الحسين ابن علىّ (رضى الله عنهما) من جهة أبيه ومن جهة أُمِّه ، وتلك هى شجرته التى انتسب إليها وكلهم عظماء موهوبون .

وقد تحقق هذا فى شخصية أبى عبد الله الحسين ابن علىّ (رضى الله عنهما) وما امتاز به من هيبة وذكاء وشجاعة وإقدام ، وإظهار شخصيته (رضى الله عنه) ، والتى أدَّى بها دوره فى الحياة كما قدَّرها اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - له ، لينال منزلة عالية فى الآخرة ، فيكون سيد شباب أهل الجنة .

★ ★ ★

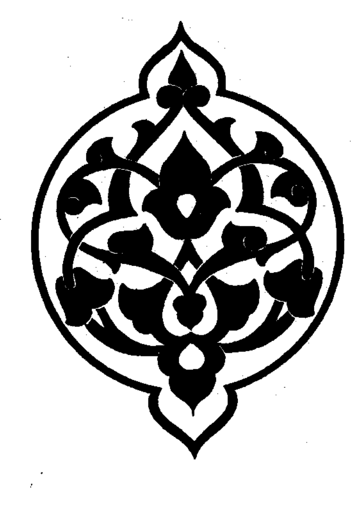
مَوْلِدُهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ)

فرح الأب عليّ بن أبى طالب بمولد الحسين ، وكذلك الأُمّ الفاضلة فاطمة الزَّهراء بنت رسول الله ﷺ ، وكان فرحها عظيماً ، وسَمعَ جدّه ﷺ بالنَّبأ السَّعيد ، فأقبل مُسرعاً إلى منزل ابنته الحبيبة (رضى الله عنها) ، وحمل الوليد المبارك بين يديه ، وأَذَّن فى أُذنه اليمنى ، وأقام الصَّلاة فى أُذنه اليسرى ، وأُتى بتمرة فلاكها [1] بريقه الشَّريف وحَنَّكَهُ [2] بها ، ثم التفت إلى عليّ (رضى الله عنه) وقال له : ماذا سمَّيتَهُ ؟

وأجاب على (رضى الله عنه) : سمَّيْتُهُ (حرباً) .

فقال جدّ الحسين (عليه الصلاة والسلام) : بل هو حسين .

كان الطِّفل وديعاً جميلًا وسيماً ، فاختار له جدّه ﷺ اسماً لم يكن للناس به عهد من قبلُ .



★ ★ ★

حظى الحسين منذ ولادته بحبّ جَدِّهِ ﷺ ورعاية أُمّه وحنان أبيه ، ومودَّة أخيه (رضى الله عنهم أجمعين) .

وعندما بلغ الحسين (رضى الله عنه) يومه السابع من عمره المجيد « عقّ عنهُ جدّه ﷺ بكبشَين ، وأمرَ

---

(١) **لاكها** : أى مضغها مضغاً خفيفاً .

(٢) **حَنَّكَهُ** : أدار التمر فى فمه .

بأنْ يحلق شعر رأسه ، ويتصدَّق بوزنه فضَّة »[1] توزع على فقراء المسلمين .

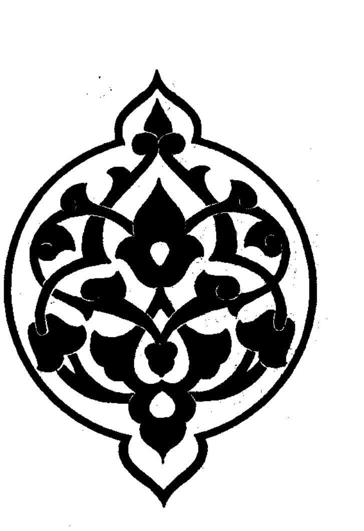
★ ★ ★

بَيْنَ الحَسَن وَالحُسَين (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا)

كان بين ولادة الحسن وأخيه الحسين (رضى الله عنهما) ما يقرب من عام ، فقد صحا الحسن من نومه يوماً ، فوجد من ينام بجوار أُمِّه الزَّهراء (رضى الله عنها) ، فراح ينظر إلى أُمِّه الزهراء تارة ، ثم يرجع ببصره إلى الحسين ، يريد أن يقول شيئاً ، لكنه لا يقدر أن يُعَبِّر أو يتكلَّم ، لقد أطالَ نظره إليه ، ثم أشار إلى أُمِّه بأُصبعه كأنه يريد أن يقول لها : مَنْ هذا ؟ ولماذا ينام بجوارك هكذا ، وفى المكان القريب منك ، وهو المكان الذى كنت أنام فيه ؟

أسئلة تخطر ببال الصغير الحسن (رضى الله عنه) لكنه لا يستطيع أن يُعبِّر عنها ... إنه اعتاد أن يرى أخاه حُسيناً (رضى الله عنه) وأن يملأ عينيه منه ، وكان حريصاً على أن يراه ، فكان حينما يصحو من نومه ، يُسرع لينظر إليه ، وكان طوال اللَّيل يُفكِّر متى يأتى النُّور ليسرع فيرى أخاه الحسين (رضى الله عنهما) .

ومَرَّت الأيام ، يوماً بعد يوم ، وتقابلَتْ العيون ، وابتَسمَتْ الشّفتان ، وتحركت يد الحسن لتلمس الحسين



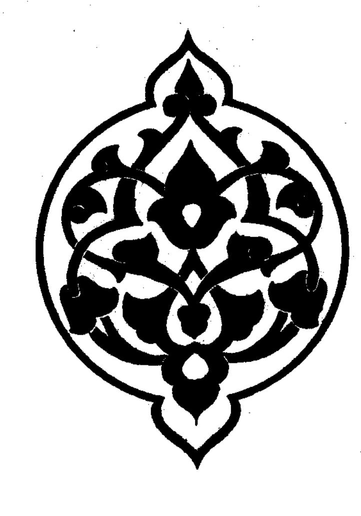
(١) أحمد (٥/٣٥٥) .

(رضى الله عنهما) ، وليحركها وهو مسرور بلمسه ، ثم راح يناديه ، ويناغيه والزَّهراء (رضى الله عنها) فرحة به ، وهى تُوصيه بأخيه خيراً ، وتطلب إليه أن يحرسه ويرعاه فهو أخوه الكبير .



وكبر الحسين (رضى الله عنه) ، وراح الحسن (رضى الله عنه) يصحبه معه خارج البيت ، وقد يأخذه أحياناً إلى المسجد ، فيراهما الناس ، فيسرون برؤيتهما ، وقد يلقون عليهما كلمات التَّرحيب والحبّ .

أراد الحسين (رضى الله عنه) يوماً أن يقود أخاه بعيداً عن البيت حتى يعرّفه مكاناً لم يكن قد رآه من قبل لكنه تاه ، وبحثت الزَّهراء (رضى الله عنها) عن وَلديها فلم تجدهما ، ونادت بأعلا صوتها ولم يُجبهَا إلَّا صدى صوتها .



أسرعت إلى أبيها رسول الله ﷺ باكية .

فقال لها ﷺ : فداك أبوكِ ، ما أبكاكِ يا زهراء ؟

قالت : الحسن والحسين خرجا ، فما أدرى أين ذهبا ؟

قال لها ﷺ : « إنَّ الذى خَلقَهُمَا أَلْطَف بهما منك » ... ثم دعا الله سبحانه وتعالى بالحفظ وقال : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَا أُخِذَا برًّا أَو بَحْراً فَسَلمهما واحفَظْهُما » .

ثم أُخْبِرَ النَّبىّ ﷺ بمكانهما ... فأتى الحظيرة التى هما فيها ، فإذا هما نائمان متعانقان ... فأكب النَّبىّ ﷺ عليهما يقبلهما حتى انتبها من نومهما ، فحمل الحسن

على عاتقه الأيمن ، والحسين على عاتقه الأيسر ، وقال : « والله لأشرفكما كما شَرَّفكُمَا الله سبحانهُ وتَعالَى » .

فتلقاه أبو بكر الصِّديق (رضى الله عنه) فقال : « يا رسول الله ! ناولنى أحد الصِّبيين أُخفِّف عنك » .

فقال النَّبىّ ﷺ : « نعم المطية مطيتهما ، ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما حتى أتى المسجد ... »[1] فاطمأنت عليهما الزَّهراء (رضى الله عنها) .

★ ★ ★



واصطحب الحسن أخاه الحسين (رضى الله عنهما) يوماً ، ودخلا المسجد ، وقد اجتمع الصحابة فيه ، يستمعون إلى رسول الله ﷺ يخطبهم من أعلى منبره ، فدخل الحسن ، وقد أمسك بيمين الحسين ، وعليهما قميصان أحمران ، وهما يمشيان وسط الناس ، ويَتَخَطَّيَانِ الرِّقاب ، فلَمَّا رآهُما جدّهما ﷺ نزلَ من على المنبر ، فحملَهُمَا فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله العظيم : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ... ﴾[2] ، ثم قال ﷺ : نظرتُ إلى هذين الصِّبيين يمشيان ويَتعثَّران ، فلم أَصْبر حتى قَطَعتُ حديثى ورفعتهما »[3] .

★ ★ ★

ظلِ الحسين وأخوه الحسن (رضى الله عنهما) متحابين متعاونين ، فكثيراً ما كان جدّهما ﷺ يجمعهما

---

(١) مجمع الزوائد (١٨٢/٩) . (٢) سورة التغابن ، الآية (١٥) .
(٣) أحمد (٣٥٤/٥) .

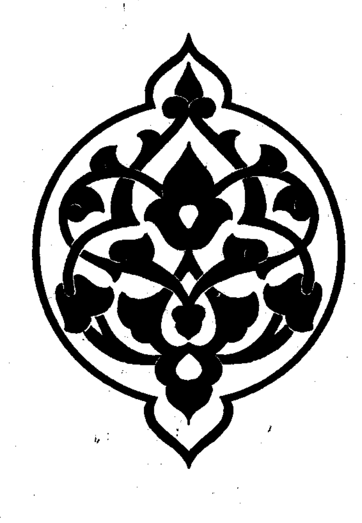
معاً ، ويلاعبهما ، وقد يدعُوهما إلى السِّباق والـمُنَافَسَةِ ، ويُشِّجع كلًّا منهما .

وقد يجمع النَّبىّ ﷺ الحسن والحسين ووالديهما ، ثم يقرأ عليهم بعض آيات القرآن .

روى عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : « خرج النَّبىّ ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل[1] من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علىّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علىّ فأدخله ، ثم قال ﷺ : ﴿ ... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[2] »[3] .

ولذلك سموا أصحاب الكساء .

★ ★ ★



بَيْنَ الـحُسَين وَالنَّبىّ ﷺ

كان الحسين أصغر من أخيه ، لذلك فقد كان محل رعاية جدّه ﷺ سواء أكان وحده أم مع أخيه الحسن (رضى الله عنهما) .

يقول أُسامة بن زيد (رضى الله عنهما) : طرقت باب النَّبىّ ﷺ ذات يوم فى بعض الحاجة ، فخرج النَّبىّ

---

(١) **المرط** : الكساء ، **والمرحل** : المنقوش عليه صور رحال الإبل .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣) .

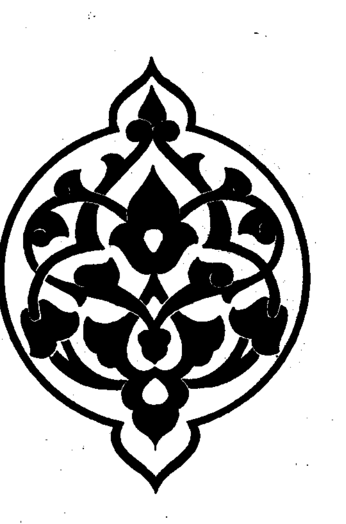
(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه : ٤٤ كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم .

ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدرى ما هو ، فلما فرغت من حاجتى قلت : ما هذا الذى أنت مشتمل عليه يا رسول الله ؟

فكشف فإذا حسن وحسين (رضى الله عنهما) على وركيه .

فقال ﷺ : « هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللَّهُمَّ إِنِّى أُحبهُما فأحبهما ، وأحب مَنْ يُحبهما »[١] .

★ ★ ★



قال أبو إياس : قُدت بالنَّبىّ ﷺ والحسن والحسين (رضى الله عنهما) بغلته الشَّهباء حتى أدخلتهم حجرة النَّبىّ ﷺ هذا قدامه وهذا خلفه .

★ ★ ★

عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ حَسناً وحُسَيناً فيقول : « أُعيذُكُمَا بِكَلمَةِ الله التَّامَّة مِنْ كُلِّ شَيْطَان وَهَامَّة ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّة ، ثم يقول : هكذا كانَ أبى إبراهيم - عليه السلام - يُعَوِّذ إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - »[٢] .

★ ★ ★

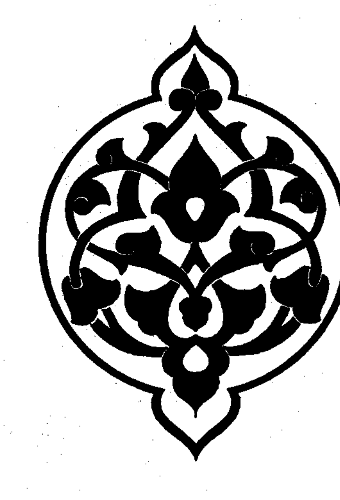
حدّث يعلى بن مرة قال : إنه خرج مرَّة مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له ، فتقدَّم رسول الله ﷺ أمام القوم ، وفى أثناء الطَّريق كانَ حُسين (رضى الله

---

(١) الترمذى (٣٧٦٩) .   (٢) أبو داود (٤٧٣٧) .

عنه) مع غلْمَان يلْعَب ، فأراد رسول الله ﷺ أن يأْخذهُ ، ولكن حُسيناً (رضى الله عنه) كان يفرّ ها هنا مرَّة وها هنا مرَّة أُخرى ، فجعل رسول الله ﷺ يُضَاحكه حتى أخذه ، فوضع إحدى يديه تحت قفاه ، والأُخرى تحت ذقنه ، ثم قال : « حُسَين منِّى ، وَأَنَا مِنْ حُسَين ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبّ حُسَيْناً ، حُسَين سَبط من الأَسْبَاط »(١) .

★ ★ ★



مرّ ﷺ على باب عليّ (رضى الله عنه) فَسمعَ صوت الحُسين (رضى الله عنه) وهو يبكى ، فنادى الزَّهراء (رضى الله عنهـا) قائلًا : يا زهراء ! أما علمت أن بكاءه يؤذينى ؟

ومرَّة أُخرى وجد حُسَيْناً يبكى فدخل عليه فوجد عليًّا والزهراء (رضى الله عنهما) فى نوم عميق ، وأحسّ أنَّ الطِّفل جائع ، فَحلبَ لهُ الشَّاة ، وسَقَاه .

وهكذا فقد كان الحسن والحسين (رضى الله عنهما) ينـاديان جدَّهُمَا : يا أبتاه فى حيـاته ﷺ ، وكان الحسن (رضى الله عنه) ينادى عليًّا (كَرَّم اللهُ وجْهَهُ) : يا أبا حسين ، والحسين (رضى الله عنه) ينادى عليًّا (كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ) : يا أبا الحسن ، فلما تُوفِّى جدّهما ﷺ كانا ينـاديان عليًّا (كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ) : يا أبت (رضى الله عنهم أجمعين) .

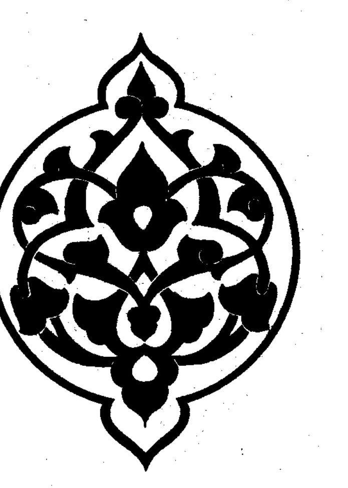
---

(١) الترمذى (٣٧٧٥) .

حـزنٌ شَـديدٌ

وحان وقت لقاء رسول الله ﷺ لربِّه ، فانتقل إلى الرَّفيق الأعلى .

وكان خبر وفاة الرسول ﷺ فاجعة (١) كبرى على الصحابة (رضى الله عنهم) ، فمن كان يظن أن النَّبىّ ﷺ سيفارقهم ؟ لكنهم ثابوا (٢) إلى رشدهم ، ورضوا بقضاء الله - عَزَّ وَجَلَّ - .



وفجع الحسين (رضى الله عنه) فجيعة مؤلمة بموت جدّه ﷺ ، وحزن عليه حزناً شديداً ، وبكى عليه بكاءً مريراً ، وعرف (رضى الله عنه) الحزن وهو ما يزال صغيراً ، لقد كان ﷺ له ولأخيه حسن الوالد الرحيم ، والمربى الكبير ، ولكنها مشيئة المولى سبحانه وتعالى .



ولم تمض على وفاة الجدّ ﷺ ستة أشهر تقريباً حتى مُنِيَ (٣) الحسين (رضى الله عنه) بفجيعة شديدة ، فقد لحقت والدته (رضى الله عنها) بأبيها ﷺ ، وانتقلت إلى جوار ربها ، فتجدَّدت الأحزان فى قلب الحسين وأخيه (رضى الله عنهما) مرة أُخرى .

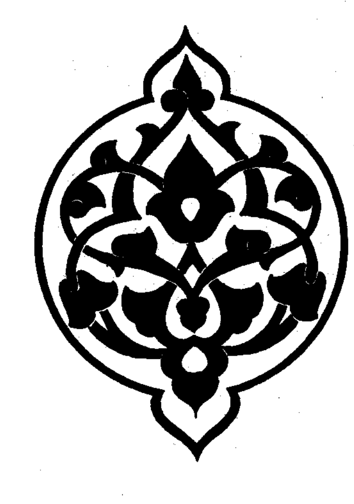
كأن المولى سبحانه وتعالى أراد أن يعد الحسين (رضى الله عنه) لما سيلقاه فى أيامه المقبلة ، وهو اللَّطيف الخبير بعباده والمقربين إليه سبحانه وتعالى .

---

(١) **فاجعة** : مصيبة .   (٢) **ثابوا** : رجعوا .

(٣) **مُنِيَ** : أى قُدِّر له .

الْـحُسَيْنُ وَأَبُو بَكْرٍ (رَضِى اللَّـهُ عَنهُمَا)



حينما تولى أبو بكر (رضى الله عنه) الخلافة كان الحسين (رضى الله عنه) فى دور الطفولة ، فكان أبو بكر (رضى الله عنه) يدعو الناس إلى محبَّـة النَّبىّ ﷺ وآل بيته ، ويقول : « ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته » .

كان (رضى الله عنه) حينما يرى الحسين (رضى الله عنه) يقبل عليه ، ويبش له ويقول : « والذى نفسى بيده لقرابة محمد أحبّ إلىّ من قرابتى » .

كان يُعَبِّر فى كلماته عن آل البيت وحبه للحسين ، وكان حبه حبًّا جمًّا ، وهذا الحبّ صادر من شخص كان هو المؤمن الأكبر ، والصديق الأصدق لجد الحسين ﷺ .



الْـحُسَيْنُ وَعُمَر (رَضِى اللَّـهُ عَنهُمَا)

قال ابن حُنَيْن : حدثنى الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) قال : أتيت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، وهو على المنبر ، وصعدت إليـه فقلت له : انزل عن منبر أبى ، واذهب إلى منبر أبيك .

فقال عمر (رضى الله عنه) : لم يكن لأبى منبر ، وأخذنى فأجلسنى معه ، فجعلت أقلب حصى بيدى ، فلما نزل انطلق بى إلى منزله ، فقال لى : مَنْ عَلَّمَك ما قُلْت ؟

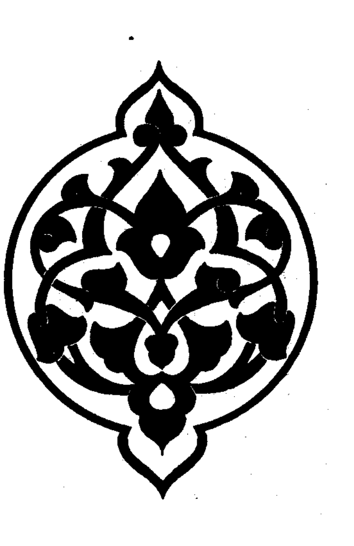
فقلت : والله ما عَلَّمَنِيه أحد .

قال عمر (رضى الله عنه): يا بنى لو جعلت تغشانا .

قال الحسين (رضى الله عنه) : فأتيته يوماً ، وهو خال بمعاوية وابن عمر بالباب ، فرجع ابن عمر ورجعت معه ، فلقينى بعدُ فقال : لم أرك ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنى جئت ، وأنت خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب ، فرجع ابن عمر ورجعت معه ، فقال : أنت أحقّ بالإِذْن من ابن عمر ، وإنما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم .

★ ★ ★



وقدم على عمر (رضى الله عنه) حلل من اليمن ، فكسا الناس ، فراحوا فى الحلل ، وهو جالس بين القبر والمنبر ، والناس يأتون فيسلمون عليه ويدعون .

فخرج الحسن والحسين ابنا علىّ (رضى الله عنهم) من بيت أُمهما فاطمة (رضى الله عنها) بنت رسول الله ﷺ يتخطيان الناس ، وليس عليهما من تلك الحلل شىء ، وعمر حزين ، ثم قال : « والله ما يهنأ لى عيش حتى أكسهما » .

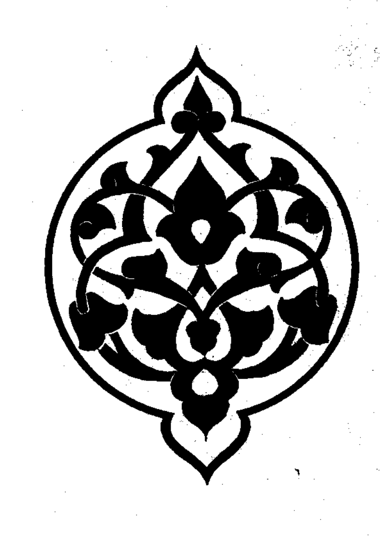
فأرسل إلى عامله فى اليمن أن يرسل له حلتين للحسن والحسين (رضى الله عنهما) وأن يُعجّل بهما ، فأرسل إليه حلتين فكساهما وقال : « الآن طَابَتْ نَفْسى » .

★ ★ ★

كان الخليفة عمر (رضى الله عنه) يُحبّ الحسن والحسين (رضى الله عنهما) حبًّا كبيراً ، وكان يفضلهما على ولده ، ولقد قَسَّم يوماً ، فأعطاهُمَا عشرين ألف درهم ، وأَعْطَى ولده ألف درهم ، فعاتبهُ ولده ، وقال : قد علمت سبقى فى الإسلام ، وهجرتى ، وأنت تُفضّل علىّ هذين الغلامين ؟

فقال عمر (رضى الله عنه) : وَيْحَك يا عبد الله ! ائتنى بجدّ مثل جدهما وأنا أُعطيك عطاءهما .

★ ★ ★



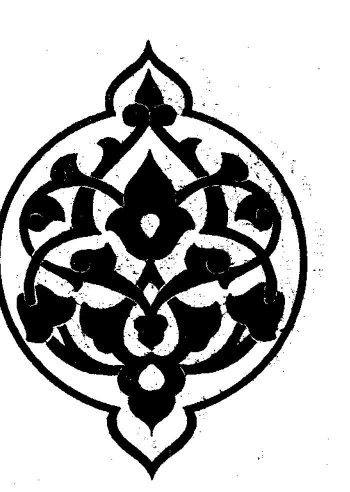
الْحُسَيْنُ وَعُثمَان بن عَفَّان (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا)

ولَمَّا تولّى الخليفة عثمان بن عفَّان (رضى الله عنه) ، كان الحسين (رضى الله عنه) قد اكتملت رجولته ، فتدرّب على الحرب والقتال ، وأصبح قويًّا وفى قدرته أن يحضر المعارك ، وأن يُجاهد فى سبيل الله ، وأن يكون مستعدًّا لنداء الجهاد ، لقد حضر فتح إفريقية مع القائد عبد الله بن أبى سرح ، ثم رجع مع المنتصرين ليبشِّروا الخليفة عثمان (رضى الله عنه) بالنَّصر على الرُّومان المحتلين الغاصبين ، وكذلك شَهِدَ موقعة (طبرستان) مع سعيد بن العاص الذى أرسله الخليفة لنَشْر الإسلام وفتح البلاد وضمها لبلاد المسلمين .

★ ★ ★

بَيْنَ الحُسَين وَأَبِيه
(رَضِىَ اللَّهُ عَنهُما)

وتولّى الخليفة الرابع علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، ووقف الحسين (رضى الله عنه) بجوار والده مع إخوانه يشدون من أزره ، ويقوّون عزيمته ، وينفِّذُون كل ما يأمرهُم به من أعمال ، وقد يتولون مناصب فى بعض البلاد ، وكان الخليفة يتولى الحسين وإخوته بالعناية والرِّعاية والتَّوجيه ، وكان ممَّا وَصَّى به تلكَ الوَصيّة الجامعة التى تشع منها - كما يقال - أنوار الحكم البالغة ، المقتبسة من مشكاة النبوة .



قال الإمام على : (رضى الله عنه) يعظ ابنه : يا بنىّ أُوصيكَ بتَقْوى الله عَزَّ وَجَلَّ فى الغَيْب والشَّهَادَة ، وكلمة الحقّ فى الرَّضَا والغَضَب ، والقَصْد فى الغنَى والفَقْر ، والعَدْل فى الصَّديق والعَدُوّ ، والعَمَل فى النَّشَاط والكَسَل ، والرِّضَا عن الله تعالى فى الشِّدَّة والرَّخَاء .



يا بنىّ ما شرٌّ بعد الجنَّة بشَرّ ، ولا خَيرٌ بعد النّار بخَير ، وكل نَعيمٍ دُونَ الجنَّة محقور ، وكل بَلَاءٍ دون النَّار عافية .



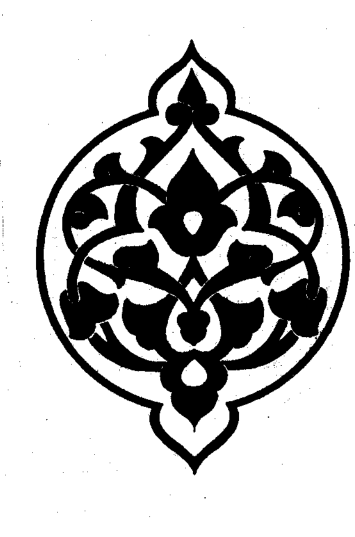
يا بنىّ عزّ المؤمن غناه عَنِ النَّاس ، والقناعَة مالٌ

لا يَنْفَد ، ومَنْ أكثر ذكر الموت رَضىَ مِنَ الدُّنيا باليَسير ، ومَنْ علم أن كثرة كلامه لا تُغن عن عمله قلّ كلامه إلَّا فيما ينفعه .

★ ★ ★

كان الحسين (رضى الله عنه) يعمل بكل توجيهات أبيه ، وكان يلازمه فى كلّ عمل ، ولكن قدر الله وقضاءه كان أقوى من كل شيء ، فلقد حرص الخليفة علىّ (رضى الله عنه) أن يُصَلِّى الفَجْر فى المسجد ، وبينما هو فى طريقه للصَّلاة ، اعتدى عليه مجرم آثم فضربه بالسيف ضربة قضت عليه ، ونال المجرم جزاءه فَقُتِلَ .

★ ★ ★



عبَادَتُهُ وَمَحَبَّته لرَبِّهِ

كان (رضى الله عنه) فاضلًا ، كثير الصَّوم ، والصَّلَاة ، والحَجّ ، والصَّدَقة وأفعال الخير جميعها .

كان يكثر من الصلاة بالليل والنهار ، وقد وصَفَ الله عباده المتقين بقوله :

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

★ ★ ★

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان (١٧ ، ١٨) .

حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه ، وإبله تُقَاد بين يديه - كما كانَ يفعل أخوه - لكنه كان يَسْلُك طريقاً آخر غير الذى يسلكهُ الناس حتى لا يشقوا على أنفسهم فى تقليده فيمشُونَ فى الطريق الذى مشى فيه .

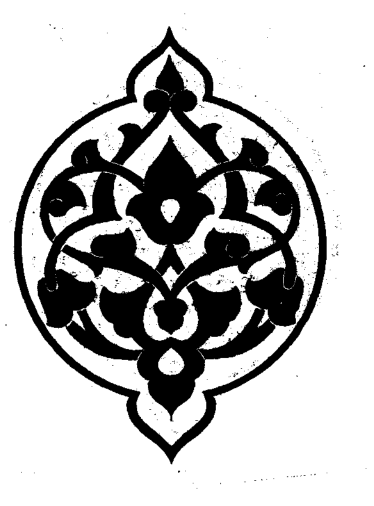


تَضَـرُّعهُ وَدُعَـاؤُهُ

كان (رضى الله عنه) كثير الدُّعـاء ، ومن دعـائه وهو يستلم الحجر الأسود فى الكعبة :

« إلٰهى نَعَّمتنى فلم تجدنى شـاكراً ، وابتليتنى فلم تجدنى صـابراً ، فلا أنت سَلَبت النِّعْمَة بترك الشُّكر ، ولا أنت أدَمْت الشِّدَّة بترك الصَّبر ، ما يكون مِنَ الكريم إلَّا الكَرَم »





لقـد تلقَّى الحسين (رضى الله عنه) عُلُومه الأُولى على يد جدّه رسـول الله ﷺ ، ثم على يد والده علىّ (رضى الله عنه)،وعلى أيدى كرام الصحابة،حفظ القرآن وهو صغير ، وروى عن جدّه الأحاديث ، وأيضاً روى عن أبيه وأخيه وطائفة من الصحابة (رضى الله عنهم) .

ولقـد كان الحسين (رضى الله عنه) عالماً فقيهاً ورعاً يخـاف ربّه ويخشـاه فى المواطن كلها ، (رضى الله عنه) .

★ ★ ★

جُـودُه وَكَرَمُـه

اشتهر النقـل عنه أنه كان يُكرم الضَّـيْف ، ويمنح الطَّالب ، ويَصل الرَّحِم ، وينيل الفَقير ، ويَسعف السَّائل ، ويكسو العَارى ، ويشبع الجَائع ، ويعطى الغارم ، ويشدّ الضَّعيف ، ويشْفق على اليتيم ، ويُعين ذا الحاجة .

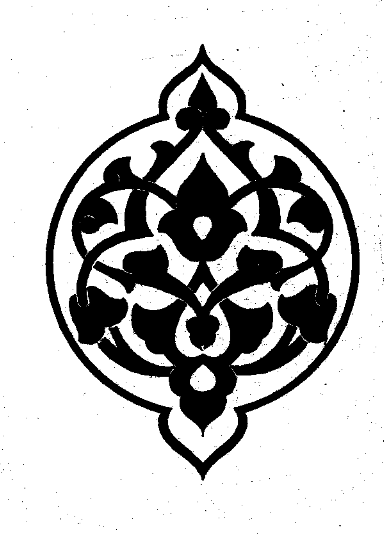
جاء سائل إليه (رضى الله عنه) فوقف على بابه وأنشد :

لم يخب اليوم من رجا لك ومَنْ
حرك من خلف بابك الحلقة
أَنْتَ ذو الجـود أَنْتَ معـدنه
أبـوك قـد قـاتـل الفسـقة

وكان الحسين (رضى الله عنه) واقفاً يُصَلِّى ، فخفف من صلاته ، وخرج إلى السائل فرأى عليه أثر فقر وحاجة ، فرجع إلى خازنه وقال : انظر كم تبقى معك من نفقاتنا ؟

قال الخازن : مائتى درهم أمرتنى بتوزيعها فى آل بيتك .

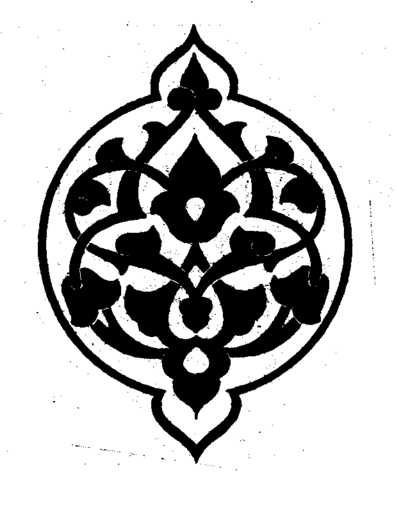
قال الحسين (رضى الله عنه) : هاتها فقد أتى مَنْ هو أحق بها منهم ، ثم أخذها ، ودفع بها إلى السائل ، واعتـذر إليه من قلَّة ما أعطى ... فقال :



خُـذْهَا ، وإنِّى إليـك مُعتَذر
واعـلم بأنِّى عليك ذو شـفقة
لو كانَ سـيرنا عصاً تمـد إذن
كانَ سـماناً عليـكَ منـدفقـة
لكنْ رَيْـب المَنُـون ذو نكد
والكَفّ منَّـا قَلِيـلةُ النَّفَقَـة

فأَخـذَهَا السَّائل وهو يقول :

مُطَهَّـرُونَ نَقِيَّـاتِ جُيُـوبهـم
تَجْرِى الصَّلَاة عليهم أَيْنَمَا ذُكرُوا
فأنتُم أنتُمُ الأَعْـلَونَ عنـدَكُمُ
عِلْم الكتاب ومَا جَاءَتْ به السّورُ
مَنْ لم يكنْ عَلويًّا حين تنسبه
فَمَا لهُ فى جميع النّاس مفتخر



★ ★ ★

ومرّ الحسين (رضى الله عنه) بمساكين يأكلون ، فدعـوه على عـادة العرب ليأكل معهم ، فاستجابَ لهم ، ونزلَ وأكلَ معهُم ، ثم قال لهم : « قَدْ أجبتكُم فأَجيبُونى » .

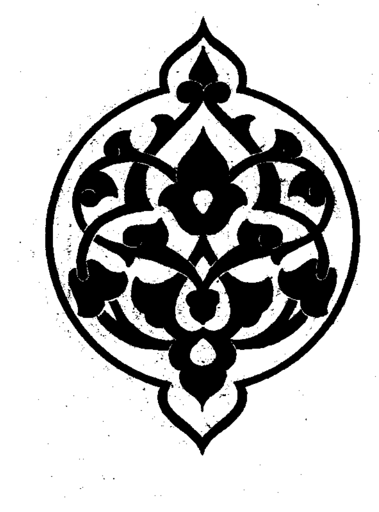
ودعاهُم إلى الغداء فى بيته ، فجاءُوا وأكلُوا من طعـامه .

★ ★ ★

عِـلْمٌ وَبَلاَغَـةٌ

تعلَّم الإمام الحسين (رضى الله عنه) منذ الصِّغَر فُنون العلْم والأدب ، وقد أتاه الله - عَزَّ وَجَلَّ - مَلَكَة الخَطَابَة ، وطلاقة اللسان ، وحُسْن البيان ، فيزين كلامه بنور اليقين .

كان له مواقف وارتجالات فى المواقف الصّعبة التى مرّ بها (رضى الله عنه) ، تُعْطى صورة لفصاحته ، فالعادة أن مواقف الحزن والشِّدة التى يَصْعُب على الخطيب أن يتابع فيها الكلام ، ترى الحسين (رضى الله عنه) ينطلق فيها ، وكأنه يقرأ من كتاب .



ومن كلامه المرتجل ، قوله فى توديع أبى ذر الغفارى (رضى الله عنه) ، وقد أخرجه عثمان (رضى الله عنه) من المدينة بعد أن أخرجه معاوية من الشام : « يا عمّاه ! إن الله قادر أن يُغَيِّر ما قد ترى ، والله كل يوم فى شأن ؛ وقد منعكَ القَوم دُنْياهُم ، ومنعتهُم دينك ، فاسأل الله الصَّبر والنَّصر ، واستعذ به من الجشَع والجزَع ؛ فإن الصّبر من الدِّين والكَرم ، وإنَّ الجشَع لا يقدم رزقاً ، والجزَع لا يؤَخِّر أجلًا » .



ولمعرفته الفائقة بأساليب البَلاَغة ، وشُهْرته بالفَصَاحة ، كان الشّعراء يُحبُّون أن يستمع إليهم الحسين (رضى

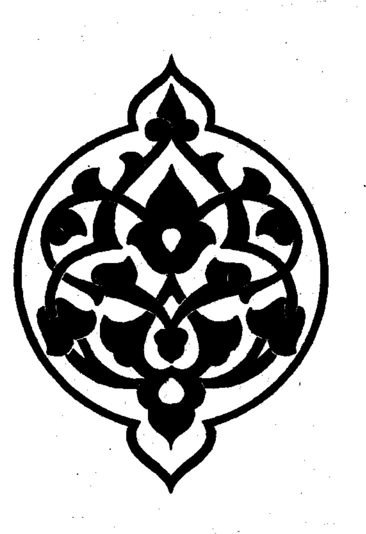
الله عنه) ويصغى إليهم ، وبهم من الطّمع فى إصغائه أكبر من الطّمع فى عطائه ... ولكن ذلك لم يمنعه العَطَاء إذا كان فاضلًا عن حاجاته ، وقد يؤثرهم بالعطاء وإن كان محتاجاً إليه .

★ ★ ★

ومن قوله المأثور عنه (رضى الله عنه) :

لئن كانت الدُّنيا تُعدّ نفيسة
فَدَار ثَواب الله أَعلَى وَأَجْمَل
وَإنْ كانت الأَبْدَان للمَوْت أُنْشِئت
فقتل امرئ بالسَّيف فى الله أَفْضَل
وإنْ كانت الأَموَال للترك جمعها
فما بالَ متروك به المرء يبخل

★ ★ ★



تَبْلِيغُ العلْم

إن العلم يزيد بإنفاقه ، وتبليغه للنّاس ، ويقل ويذهب بكتمانه ، ومنعه عن النّاس .

وهذا المذهب كان طريق الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) وخاصة حملة العلم منهم .

ولم يكن الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) بأقل من هؤلاء الصحابة رغم أنه كان أصغرهم سنًّا ، فكان مُعلِّماً ، ومدرساً ، للتابعين من أبناء الصحابة .

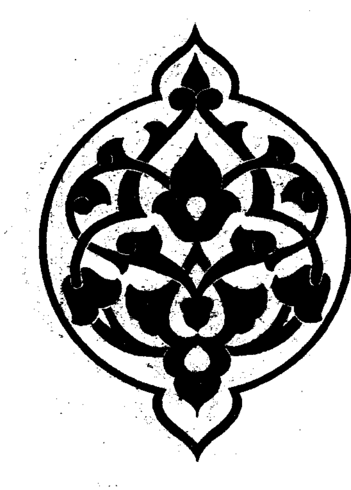
فكانت تضرب له الحلقات فى مسجد رسول الله

ﷺ ، ولقد عُرفَ الحسين (رضى الله عنه) بذلك لدرجة أن النّاس إذا أرادوا أن يَصفُوا الحسين (رضى الله عنه) وصَفُوه بذلك .

فهذا رجل أراد أن يتعرف على الحسين (رضى الله عنه) عند دخوله مدينة رسول الله ﷺ ، فقيل له : « إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطَّير ، فتلكَ حلقة أبى عبد الله الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) » .

وإن ذلك شيء من هذا الوصف ، فإن دل يدل على الوَرَع والطَّاعة والتقوى لله تعالى ؛ لأن ذلك لا يكون بتلك الصورة إلَّا لإنسان تواضع وأخلص لله تعالى .





أَقْوَالُهُ وَحِكَمُه

● حوائج الناس إليكم من نِعَم الله عليكم ، فلا تملوا النِّعَم فتعود نِقَماً .

● صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ، فأكرم وجهك عن رده .

● الحِلْم زينة ، والوفَاء مروءَة ، والصِّلَة نعْمَة ، والعَجَلة سفه ، والسّفه ضَعْف ، والغُلو ورطة ، ومجالسة الدَّناءَة شَرّ ، ومجالسة أهل الفُسُوق ريبة .

★ ★ ★

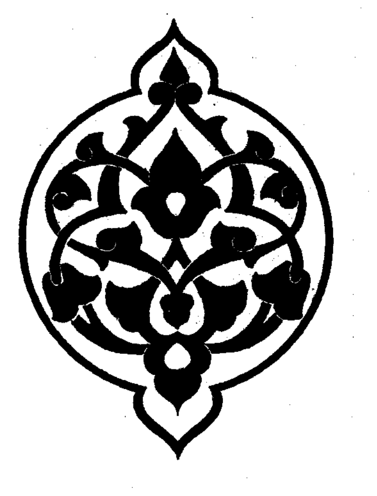
نَصَـــائِحهُ

أيها النـاس : نافسوا فى المكارم ، وسـارعوا فى المغانم ، واكتسبوا الحمد بالمنح ، واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً .

من جـاد سـاد ، ومن بخل ذلّ ، وإن أجـود النّاس من أعطى ما لا يرجوه ، وأعف النّاس من عفا عن قُدْرَة ، وأحسن النّاس من وصل رحمه .

ومن أحسن أحسن الله إليه : ﴿ ... **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1] .





شِـــعْرٌ وَإِجَــادَةٌ

لقد أُوتى الحِكْمَة (رضى الله عنه) ، وكان يقول الشِّعر أحياناً .

ومن شعره فى الحكمة :

إِغْنَ عَـن المَخْلُوقِ بالْخَالِـقْ
تَغْنَ عن الكَاذِبِ وَالصَّـادقْ
وَاسْتَرْزق الرَّحْمٰـن مِنْ فَضْـلِه
فَلَيْـسَ غيرُ اللهِ مِنْ رَازِق
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّـاس يُغنـونَهُ
فَلَيْـسَ بالرَّحْمٰـن بِالْـوَاثِـق

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٣٤) ، والمائدة ، الآية (٩٣) .

وملكة شعره كانت حاضرة ، وهذا يدلّ على ثقافته العالية وتمكنه من معرفته العَميقة بالأدب ونوعية الشِّعر والنثر ، ولقد قابله شخص على هيئته التعفّف عن سؤال الناس فقال للحسين (رضى الله عنه) :

لم يبق عندى ما يُباع ويشترى
يَكْفيك ظَاهر منظرى عن مخبرى
إلَّا بقيَّة ماء وجه صنته
عن أَنْ يُباع ونعْمَ أنتَ المشترى

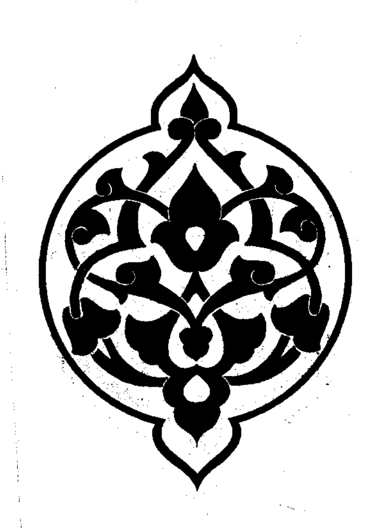
فمدّ الإمام الحسين (رضى الله عنه) يده إلى جيبه ، وأخرجَ ما كان فيه ، وقدّمهُ للرَّجل ، وأجابه مرتجلًا الشعر قائلًا :

عَاجلتَنا فأَتَاكَ عَاجل برنا
نذراً ولو أمْهَلْتَنا لم نقترِ
فَخُذْ القَليل وكُنْ كأنَّكَ لم تَكُن
بعت المصون وأننا لم نشترِ

★ ★ ★

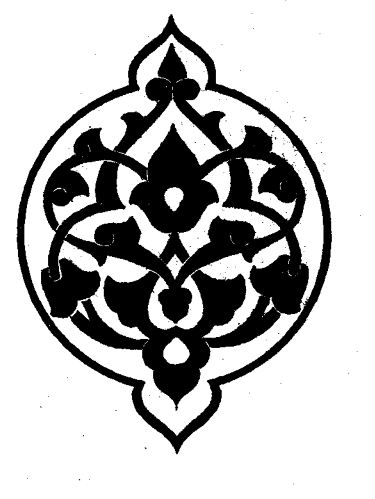
ومن قوله المأثور :

كُلَّمَا زيدَ صَاحب المال مالًا
زيدَ فى هَمِّهِ وفى الاشتغال
قد عرفْنَاك يا مُنغِّصةَ العَيْشِ
وَيَا دَارَ كل فَانٍ وَبَال
لَيْسَ يَصْفو لزَاهد طَلَب الزُّ
هْد إِذَا كانَ مثقلًا بالعيَال



جِهَــادُه
(رَضِـىَ اللَّـهُ عَنـهُ)

إن ما كان عليه الحسين بن علىّ (رضى الله عنهما) من عبادة ، وورع وتدريس للعلم ، لم ينسه دوره فى محاربة أعداء الإسلام ، وفتح الثغور ، لنشر دين الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، لأن ذلك من تمام الواجبات ، وهى تاج العزّة وسياحة المؤمن .



ولقد ضرب لنا الحسين (رضى الله عنه) فى ذلك أروع الأمثلة فى الصَّبر والجهاد فى سبيل الله ، فقام بواجبه وأدَّى دوره كما يجب أن يكون .

ولعلّ أفضل شىء نبرهن به على ذلك ، الدور الذى قام به الحسين (رضى الله عنه) فى عهد معاوية ، فلقد شارك مع الجيوش المسلمة المجاهدة لفتح أوربا ، على ما كان بينهما من خلاف فى وجهات النظر ، لم يفسد للود قضية .

فاشترك فى غَزْو (القسطنطينية) ، وأدّى دوره بإيمان وشجاعة ، ثم عاد إلى المدينة .

★ ★ ★

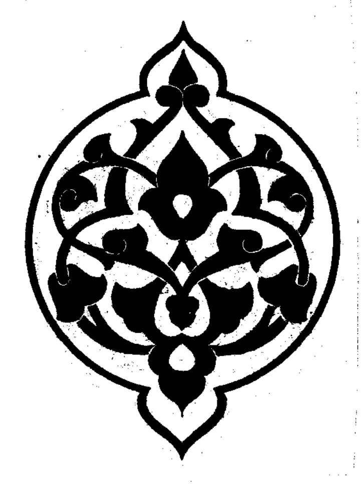
استشْـهَادُه
(رَضِىَ اللَّـهُ عَنـهُ)

كان استشهاد الإمام الحسين (رضى الله عنه) فى اليوم العاشر من شهر المحرم فى العام الحادى والستين من الهجرة فى (كربلاء) بالعراق ، رحمه الله .

وكان استشهاد الحسين (رضى الله عنه) معلوماً ، فلقد أُخبر النَّبىّ ﷺ بذلك .

فعن أُم سلمة (رضى الله عنها) : أن النَّبىّ ﷺ قال : « لقد دخل عَلَىَّ البيت ملك لم يدخل على قبلها ، فقال لى : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها ، قال فأخرج تربة حمراء »[١] .

★ ★ ★



(١) أخرجه أحمد (٢٩٤/٦) .

حُـزْنٌ وَرِثَـاء

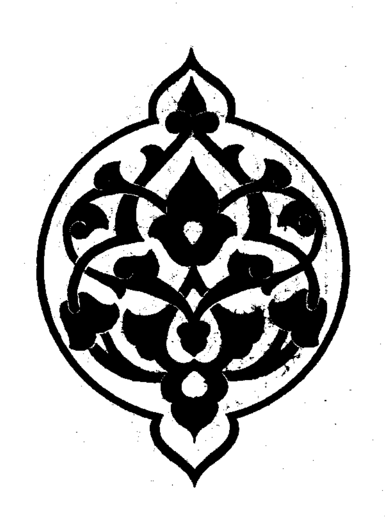
لم ينل شخص من الرثاء ما ناله الإمام الحسين (رضى الله عنه) إلى وقتنا هذا ، فلا يكاد يمرّ عام وتأتى ذكرى استشهاده ، إلَّا ويتسابق الشعراء فى ذكر مآثره وإظهار شجاعته ، وهو يدافع الظلم والاضطهاد ، فتترجم عن الحب العميق للنَّبىّ ﷺ وآل بيته الذين استشهدوا فى سبيل الحق والدّعوة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - .

وكان أول من رثته زوجته السيدة (رباب) أُم السيدة (سُكَيْنَة) .

قالت (رضى الله عنها) :

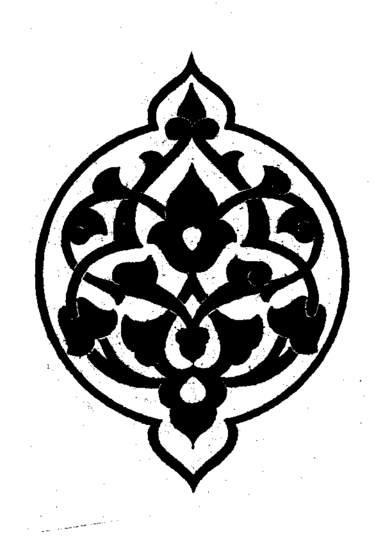
إنَّ الَّذى كانَ نُوراً يُستَضَاء به
بِكَرْبَلَاء قَتِيل غير مَدفُون
سَبط النَّبىّ جَزَاك الله صَالحة
عنَّا وجنّبت خسران المَوَازين
قَدْ كانَ لى جبلًا صَعباً أَلُوذُ به
وكنت تصحبنا بالرَّحِم والدِّين
من لليتامى ومن للسَّائلين ومن
يُغْنِى ويأوى إليه المَسَاكين
والله لا أبتغى صهراً بصَهْركُم
حتى أغيّب بين الرَّمل والطِّين

★ ★ ★



ورثاه الإمام الشافعى وكان ممَّا قاله :

وممَّا نفى نومى وشيّب لمتى
تَصاريف أيَّام لهن خطُوب
تأوّب همِّى والفُـؤَاد كَئيب
وأرق عينى والرّقاد غَريب
تزلزلت الدُّنيا لآل مُحَمَّد
وكادت لهم قمم الجبال تذُوب
قَتيل بلَا جُرم كأن قَميصه
صبيغ بماء الأ رجوان خضيب
نُصلِّى عَلَى المُخْتَار من آل هَاشم
ونغزوا بنيه إن ذا لعجيب !
لئن كان ذنبى حُبّ آل مُحَمَّد
فذلك ذنب لست عنه أتُوب





ونجد فى أيامنا هذه من يذكر الإمام الحسين (رضى الله عنه) ومكانته ومنزلة أجداده فيقول :

أنت الشَّهيد ابن الشَّهيد وهكذا
إرث المكارم منصباً عن منصب
أهدى جدودك للبريَّة زَمْزَماً
تسقى الحَجيج مَوَارداً لم تنضب

والحُـرّ يؤثر أن يمـوت بعـزمه

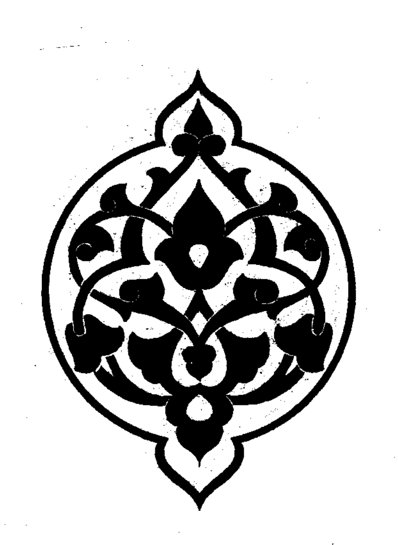
ولا يحيى بمَـكْـر الثَّعلَب

ذكرى خُلُودك يَا حُسَين صحيفة

ذهبَ الزَّمَان وحُسنهَا لم يذهب

رحمه الله ورضى عنه .

★ ★ ★

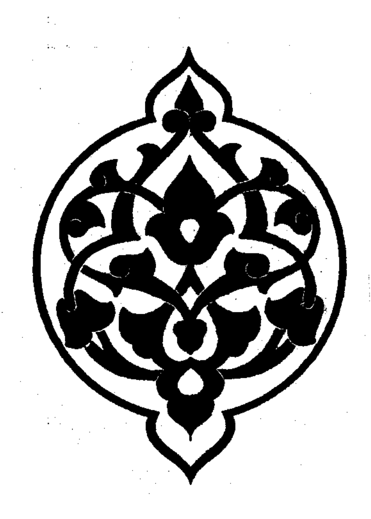


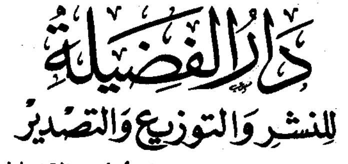
وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

أنس بن مالك

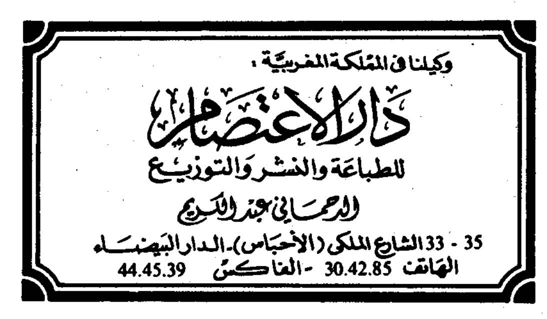
خادم النبي صلى الله عليه وسلم

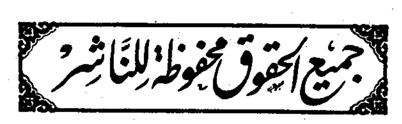






الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦


وكيلنا في المملكة المغربية :
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الرحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧ / ١٩٩٦

